

الإنزياح الصرفي في سورة يوسف

الباحثة آلاء محمد حسين

ماجستير علوم قرآن ، تخصص فكر اسلامي

alaa.2020mohammad2022@gmail.com

The morphological displacement in Surat Yusuf

researcher Alaa Muhammed Hussain

Master's degree in Quran sciences , specializing in Islamic thought

Abstract:

When we study Surat Yusuf, we find a huge amount of artistic displacement with its multiple levels, especially the morphological one, which played a technical role and carried a secondary connotation, most notably: denial of nouns, using the imperative verb instead of the present, or using the infinitive instead of the verb, and transgression in the use of pronouns by using some of them instead of others, as well as emphasizing Actions. All of these phenomena revealed some of the characteristics of the characters of the surah, so we see the character of Jacob, and he was overcome by sadness and anxiety, and he remained vacillating between anxiety, fear, hope, and belief in God's destiny and the personality of Joseph's brothers and their intense hatred for Joseph (peace be upon him) and their relentless pursuit of their father's love and his personality. Semitic for his father and God Almighty's support for him.

Key words : displacement, Surat Yusuf , peace be upon him , morphological phenomena .

الملخص :

دراسة الإنزياح الأدبي تبدأ بالنظر إلى مفردات النص ومركباته، بالاستعانة بالعلوم الأدبية، من صرف ونحو ولغة وبلاغة، بما هي أدوات لبيان المعنى. تعتبر الفنون البلاغية الأدبية من أكثر ظواهر الإنزياح تردداً وأوسعها انتشاراً في النص القرآني وقد تناول الباحثون العديد من السور القرآنية فرأينا أن ندرس سورة يوسف (عليه السلام) نظراً لما تمتاز به من جماليات أسلوبية وفنون بلاغية ودلالات واسعة في المجال الصرفي لذا نسعى في هذه الدراسة إلى رصد مظاهر الإنزياح الصرفي في سورة يوسف واستجلاء ما يشعه في ذلك البيان الخالد من قيم و أسرار ودلالات وجماليات فنية.

عند دراستنا لسورة يوسف نجد كما هائلاً من الإنزياح الفني بمستوياته المتعددة ولاسيما الصرفية التي لعبت دوراً فنياً وحملت دلالة ثانوية ومن أبرزها: تنكير الأسماء، استعمال فعل الأمر بدل المضارع أو استعمال المصدر بدل الفعل والعدول في استعمال الضمائر من خلال استعمال بعضها بدل بعض وكذلك تشديد الأفعال وما فيه ذلك من زيادة المبني لزيادة المعنى واستعمال أسماء الإشارة وقد كشفت هذه الظواهر جميعاً عن بعض سمات شخصيات السورة فنرى شخصية يعقوب وقد غلب عليه الحزن والقلق وبقي يتأرجح بين القلق والخوف والأمل والإيمان بقدر الله وشخصية أخوة يوسف وبغضهم الشديد ليوسف (عليه السلام) وسعيهم الحثيث لكسب ود أبيهم وشخصية يوسف (عليه السلام) ومكانته السامية لدى أبيه ونصرة الله تعالى له.

الكلمات المفتاحية : الإنزياح ، سورة يوسف (عليه السلام) ، الظواهر الصرفية .

مقدمة البحث**مفهوم الانزياح:**

جاء في تعريف الانزياح في مقاييس اللغة ان: "الزاء والياء والحاء أصل واحد، وهو زوال الشيء وتنحيه، يقال: زاح الشيء يزيع، إذا ذهب" (ابن فارس، مادة زاح) كما جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة: "انزاح انزياحاً، فهو منزاح، والمفعول منزاح عنه، وانزاح الشيء: زاح؛ ذهب وتباعد، وانزاح عن مقعده: تنحى عنه وتباعد". وهكذا؛ فالانزياح في اللغة يرتبط بالذهاب والتباعد والتنحي، وفي كل هذا تغيير لحالة معينة وعدم الالتزام بها. (أحمد مختار، ١٩٩٨، ص ١١٤)

اما في تعريف اصطلاح الانزياح فقد قيل ان "الانزياح خروج عن المؤلف والمعتاد، وتجاوزٌ للسائد والمتعارف عليه والاعتيادية، وهو في الوقت نفسه إضافة جمالية يمارسها المبدع لنقل تجربته الشعورية للمتلقي والتأثير فيه، ومن ذلك لا يُعد أي خروج عن المؤلف وتجاوزٌ للسائد وخرق للنظام انزياحاً إلا إذا حقق قيمةً جماليةً وتعبيرية. (شكري، نقد ١٩٩٩، ٢٣) وقد تبنى هذا المفهوم عددٌ من الباحثين والنقاد، ومنهم جون كوهن الذي يرى أن الشرط الأساسي والضروري لحدوث الشعورية هو حصول الانزياح، بوصفه خرقاً للنظام اللغوي المعتاد.

يجدر التنويه إلي ان الانزياح رغم أنه مصطلح حديث ارتبط بالأسلوبية وبالشعرية الحديثة، فإن للمفهوم الذي يدل عليه جذوراً بلاغية تعود إلى البلاغة اليونانية، ونجد عند أرسطو الذي كان يفرق بين اللغة العادية المعروفة والشائعة، وبين اللغة الغريبة غير المألوفة، مؤكداً أن الثانية هي اللغة الأدبية لأنها - كما يرى كوينتيليان - تعبير عن الحركية والتجدد والحياة، على عكس اللغة العادية الدالة على السكون والنمطية المملة. (ويس، ٢٠٠٥، ص ٨٢)

كما ان من خلال دراستنا للأدب العربي التليد يمكننا القول ايضاً إن الانزياح ظاهرة مهمة في اللغة العربية؛ فهو وسيلة لتوسّعها، وأداة فنية وجمالية عرّفها اللغة منذ القديم؛ إذ نجد أن العرب قديماً تنبهوا للظاهرة، ولو

بمصطلحات أخرى أهمها العدول؛ ونجد عند ابن جني، وعبدالقاهر الجرجاني، والقاضي الجرجاني، وابن رشيق القيرواني، وغيرهم.

الانزياح هو خروج الكلام عن نسقه المثالي المألوف، أو هو الخروج عن المعيار لغرض قصد إليه المتكلم أو جاء عفو الخاطر لكنه يخدم النص بصورة أو بأخرى وبدرجات متفاوتة. يعتبر الانزياح من أهم الظواهر التي يمتاز بها الأسلوب الأدبي من غيره؛ لأنه عنصر يميز اللغة الأدبية ويمنحها خصوصيتها وتوهجها، ويجعلها لغة خاصة تختلف عن اللغة العادية، ولذلك نرى كبار نقاد الأدب من أمثال سبترز وجروج موناو وتودورف وجان كوهن يتخذون من ظاهرة الانزياح في النص الأدبي أساساً للبحث في الخواص الأسلوبية التي تميز بها مثل هذا النص. (كوهن، ١٩٨٦، ص ١٦)

إن أهم المباحث الأسلوبية تتمثل في رصد انزياح الكلام عن نسقه المألوف أو كما قال جان كوهن رصد الانتهاك الذي يحدث في الصياغة، والذي يمكن بواسطته التعرف على طبيعة الأسلوب الأدبي، بل ربما كان هذا الانتهاك هو الأسلوب ذاته وما ذاك إلا لأن الأسلوبيين تعاملوا مع اللغة على أساس أنها مستويان الأول مستواها المثالي ويتجلى في هيمنة الوظيفة البلاغية على أساليب الخطاب والثاني مستواها الإبداعي الفني الذي يخترق الاستعمال المألوف للغة ويتنهدك صيغ الأساليب الجاهزة ويهدف من خلال ذلك إلى شحن الخطاب بطاقات أسلوبية وجمالية تحدث تأثيراً خاصاً في المتلقي. (عبدالمطلب، ١٩٩٦، ص ١٩٨)

فالمستوي المثالي أو الاعتيادي هو الذي يعتمد النحو التقعيدي في تشكيل عناصره، ويعتمد في تنسيق هذه العناصر، ثمرة الترابط في حين يقول به النحاة وما يقوله به اللغويون ظهور مثالية اللغة في استعمالها المألوف، وهي مثالية افتراضية أكثر منها تطبيقية واقعية ولعل هذه المثالية الافتراضية هي التي كانت وراء كثير من المقولات النظرية في الدراسات النحوية واللغوية كتقسيم الكلام على اسم وفعل وحرف وسائر القواعد النحوية واللغوية التقليدية.

وعلى خلاف شريحة اللغويين والنحاة فإن النقاد والبلاغيين عنوا باللغة الفنية وحرصوا على تأكيد صفة مخالفة لابد من تحقيقها في استعمال الفني للغة، هذه الصفة هي المغايرة أو الانزياح عن القواعد والمعايير التي تحكم اللغة المألوفة أي أن النقاد والبلاغيين لا يتلفتون إلي ما يحرص عليه النحاة واللغويون من إبراز الكلام في صورة مثالية تلتزم بالقواعد في صرامة ودقة، بل هم يوكدون على انتهاك هذه المثالية والانزياح عنها في الاداء. غير ان هذا لا يعني انصراف النقاد والبلاغيين أو جهلهم بمثالية المستوي العادي من اللغة الذي اقامه النحاة واللغويون، بل ان هذا المستوي بمثاليته لم يغيب عن أذهانهم لحظة واحدة لانهم جعلوا منه مرآة يتعكس عليها انزياح المستوي الفني ومعياري يقيسون عليه مقدار هذا الانزياح. (النوري، ٢٠٠٨، ص ٨)

فالانزياح يحدث عندما يكسر الخطاب والنص الأدبي القواعد اللغوية الموضوعية أو يخرج عن النمط المألوف أو يتدع صيغا وأساليب جديدة أو يستبدل تعبيرات جديدة بأخرى قديمة أو يقيم نوعا من الترابط بين لفظين أو أكثر أو يستعمل لفظا في غير ما وضع له اصلا، وهذا الخروج عن الاستعمال العادي للغة يطل عليه مصطلحات عدة أبرزها مصطلح الانزياح (سليمان، فتح الله، ٢٠٠٠، ص ١٩)

انواع الانزياح :

تنقسم مستويات الانزياح إلى عدة مستويات هي المستوي الدلالي، المستوي الاليقاعي والمستوي النحوي الصرفي وهي كالتالي: (صلاح، ١٩٩٨، ص ٢١٢).
المستوي الصرفي: اما المستوي الصرفي فهو يهتم بالجوانب العاطفية والدلالية للأفعال والأسماء بحيث يعتني بالمفارقات الدلالية بين الأسماء والأفعال وما لها من دلالات مختلفة كما في استعمال صيغ أسماء بدل أخرى بهدف التعبير عن غرض خاص.

والمستوي النحوي: وهي الانزياحات التي تحدث في الظواهر النحوية والتي تخرج عن قواعد النحو العربي ومعايير المألوفة كما في ظاهرة التقديم والتأخير والحذف والذكر

المستوي الصوتي : وهو يهتم بالانزياحات التي تحدث في الظواهر الصوتية التي تحدث نوعاً من التأثير الإيقاعي و توحى بموسيقاها كالتكرار اللفظي والمعنوي والحروف

المستوي الدلالي وهو الذي يركز في دلالة الألفاظ ولا سيما قضايا التشبيه والاستعارة والكنية والمجاز وسائر الفنون التصويرية التي تجسد خلفها دلالة ثانوية.

جماليات الانزياح :

وتظهر جمالية الانزياح في خلق إمكانات جيدة للتعبير، والكشف عن علاقات لغوية جيدة تقع في علاقة اصطدام مع ما يتوافق معه الذوق، وما تأسس في معرفة الإنسان الأولية، ومسألة الجيد والغريب التي تظهرها ظاهرة الانحراف، ما هي إلا ترسيخ للشعرية والتي هي هدف كل عمل أدبي، وهي توقع من دلالاتها الكامنة أثراً كبيراً في نفس المتلقي (رابعة، ٢٠٠٣، ص ٦٩)

ويكمن الأثر الجمالي للانزياح عند كثير من الأسلوبين الدهشة التي تولدها مفاجأة القارئ بما لم يعهده ولم يتوقعه من التراكيب اللغوية، والقارئ من طبعه الملل بسرعة، فلا بد بين الحين والآخر أن يكون للمؤلف القدرة الكافية لخلق نوع من الإثارة من خلال مفاجأة القاري، وهذه المفاجأة لا تحدث إلا من خلال التمسك بظاهرة الانزياح (بودوخ، ٢٠١١، ص ٢٠)

الرغبة في الوقوف على صور ظاهرة الانزياح وأبعاده الدلالية والجمالية في التعبير القرآني حدت الكثير من الباحثين إلى تناول السور القرآنية اذ ان الانزياح ظاهرة بلاغية تبرز وجوهاً من وجوه الإعجاز القرآني وتدل على ما وهب المولي تعالي لغة التنزيل من امكانيات متعددة وقدرات فائقة في التصرف في التعبير والتعدد في الدلالات.

نبذة عن سورة يوسف

نزلت سورة يوسف على رسول الله (ﷺ) في مكة المكرمة، جاءت لتروي أحداث قصة نبي الله يوسف (عليه السلام) أخوته، وقصة سجنه، ثم توليه خزائن مصر، وبصل عدد آيات السورة إلى مائة وإحدى عشرة آية، وتأتي السورة

الكريمة في الترتيب الثاني عشر بين سور القرآن الكريم، وهي السورة التالية لسورة هود من حيث النزول. (الخازن، ٢٠١٠، ص ٧٣)

يعود السبب في تسمية سورة يوسف بهذا الاسم نظراً لاختصارها على ذكر أحداث وتفاصيل قصة سيدنا يوسف (عليه السلام) كاملة، وتعد هذه من المميزات التي تنفرد بها هذه السورة الكريمة عن سائر سور القرآن الكريم، ويشار إلى أن اسم سيدنا يوسف (عليه السلام) قد ورد في السورة أكثر من خمس وعشرين مرة، وتقع السورة في الجزء الثالث عشر في الحزبين الرابع والخامس والعشرين.

نختصر قصة سيدنا يوسف بن يعقوب (عليه السلام) بأنه قد لقي الويلات والغدر والخيانة من أقرب الناس إليه وهم أخوته البالغ عددهم أحد عشر أخاً، وكانوا قد رموه بالبئر ليتخلصوا منه وأخبروا والدهم بأن الذئب قد أكله وهم في غفلة عنه، وأخذوه بعض السيارة بعد أن انتشلوه من البئر إلى عزيز مصر، وكان يعقوب (عليه السلام) قد طلب من أبنائه أن يحضروا له قميص يوسف ليتأكد من صدقهم إلا أنهم جلبوا له قميصاً ملطخاً بدم شاه لكنه اكتشف كذبتهم نظراً لكون القميص سليماً وليس ممزقاً، وكان يعقوب (عليه السلام) فاقداً للبصر وعند عودة يوسف (عليه السلام) ارتد إليه بصره. أما في قصر العزيز فقد دبرّت زوجة العزيز بعد أن افتتنت بيوسف (عليه السلام) مكيدة له، وادّعت بأنه يراودها إلى نفسه وسجن سبع سنوات، وظهر الحق أخيراً بأن قميصه قد قُدم من دبر وهذا دليل على براءته وإدانة زوجة العزيز.

يحاول الباحث في هذا المقال الاجابة علي السؤال المتمثل : ما هي أبرز أنواع الانزياح الصرفي في سورة يوسف ؟

خلفية البحث :

هناك العديد من البحوث والمقالات التي تم تدقيقها في فن الانزياح من أبرزها:
١. عباس زاده، حميد، (١٤٣٣ق)، جمالية الانزياح البياني في المفارقة القرآنية، دراسات في العلوم الانسانية؛ هذه المقالة تستجلي بمنهج وصفي تحليلي الملامح الجمالية للمفارقات القرآنية التي تصور الكفار في مواقفهم المختلفة.

تؤدي المفارقة دورها في جماليه القرآن بمؤثرات جماليه، هي: التغريب، والإيجاز، وإبراز اللفظ والمعني في ضدهما، والصدق، والتهويل، والتهكم.

٢. غفوري، محمد، انزياح الصورة الشعرية لدى نازك الملائكة مجلة الأدب والعلوم الانسانية، لبنان، ٢٠٢؛ ويتجلى للقارئ في نهاية هذا المقال أن الشاعر تمكنت من استعمال الانزياح الدلالي بشكل مطرد للإبداع وتحسين الصورة الشعرية.

٣. إيمان شعبان محمد عوض، الانزياح في شعر أبي نواس، كلية البنات الإسلامية جامعة الأزهر بأسبوط (العدد السابع والثلاثون)، (٢٠١٨م)؛ وقد توصل إلي نتيجة مفادها ان الانزياح قد تجلي في شعر أبي نواس بأنواعه الثلاثة، الانزياح الدلالي، الانزياح التركيبي، والانزياح الإيقاعي وقد ارجع سبب الانزياح إلي خروج الشاعر عن كل المألوفات لأسباب ترجع إلى نشأته .

وان هناك بعض الدراسات اهتمت بالجانب المضموني من مثل (سورة يوسف دراسة تحليلية للكاتب احمد نوفل) الا انها تناولت الجانب المضموني بعيدا عن دراسة الجانب الفنية وهذا ما نرومه في دراسته الحالية.

الانزياح الصرفي :

هناك آيات عديدة تجلي فيها المستوي الصرفي في هذه الصورة المباركة ومن أبرزها ظواهر استعمال التنكير واسم المفرد والموصول والنون المؤكدة وزيادة مباني الكلمات وقد حملت دلالات فنية ونقاط بلاغية تتمثل في التأكيد وبيان المودة والأمل والعظمة.

من مظاهر استعمال اسم النكرة لغرض بلاغي قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَبْنَؤُا لَا نَقْصُ رِيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (يوسف، ٥)

نلاحظ هنا جو التواد والمحبة الذي كان يغمر قلب يعقوب ويوسف (عليهما السلام) فقد بدأ يعقوب كلام بعبارة يا بني المفعلة بالمحبة والحنان ويلاحظ أن يعقوب

(يُوسُفَ) استعمل في تحذيره ليوسف (يُوسُفَ) من أخوته كلمة (كيدا) بصيغة نكرة لتدل علي عظمة ذاك الكيد وفداحته.

كذلك تتجلي هذه الظاهرة في محاولة أخوة يوسف لاهلاكه:

﴿ أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ طَرْحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾

(يوسف، ٩)

هنا في قوله تعالى (اقتلو يوسف أو إطرحوه أرضا) انظر إلي تنكير لفظ أرضا فكانه يشير إلي ما في نفوس أخوة يوسف (يُوسُفَ) من التدمير والتخطيط: أرض مجهولة لا يهتدي إليها أبوه. (الجوسي، التعبير القراني، ٢٩١) كذلك من مظاهر انزياح اسم النكرة حديث النسوة في وصف يوسف (يُوسُفَ):

﴿ قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَاوَدْتَنِي يُوسُفُ عَنْ نَفْسِهِ قُلْتُ حَسْبُ لِيَ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ﴾

قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْفَن حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿يوسف، ٥١﴾

ونشاهد ان عبارة (من سوء) بصيغة منكرة مجرورة تدل علي عدم وجود أي سوء لا صغير ولا كبير في يوسف (يُوسُفَ) وتمنحه البراءة التامة وهي أبلغ من قوله ما علمنا عليه سوءا. وإن مفردة حصحص معني ظهر للدلالة علي انكشاف الأمر أبلغ من فعل ظهر أو اتضح إذ ان فعل حصحص رباعي الحروف هو واضح وانه يتشكل من شقين تكرر مما يكشف عن شدة الوضوح بتراصف شقيه وتكرار حروفه. وان كلام زليخا في الأخير يتحمل كل معاني التبرئة والتطير فقد صرحت بضمير أنا في بداية كلامها انها هي من راودته لتشير إلي براءته وقد أردفت ذلك بجملة وانه من الصادقين لتؤكد بأسمية الجملة ونون التوكيد و مفردة الصادق براءته التامة من كل ما حصل.

وأن من مظاهر الانزياح الصرفي استعمال فعل الأمر بدل المضارع في قوله تعالى

: ﴿ أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ طَرْحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾ (٩)

(يوسف، ٩)

من الملاحظات الصرفية المهمة في هذه الآية ان الأخوة في طور التفاوض والتشاور نجدهم يستعملوا فعل الأمر بدل الأفعال المضارعة فكما هو معروف فان المفاوضات غالبا ما تعتمد علي الأفعال المضارعة المقترحة ولا تنتهي إلي أفعال الأمر إلا في ختام الأمر لكن الأخوة شرعوا حديثهم بقولهم اقتلو وهو فعل أمر يدل علي شدة توأمرهم بدل ان يقولوا نقتل يوسف وان تقديم القتل علي الطرح يدل علي شدة مقتهم وحنقهم علي يوسف اذ قدموا القتل علي الابعاد مع ان كلا الحلين المقترحين يريحانهم من عبء يوسف ويحققان حلمهم في التخلص من يوسف علي حد سواء. وانهم في عبارة (أبيكم) ضمير الكاف يدل علي انهم يرون انفسهم احق بعطف ابيهم ومن جانب اخر استعمال لفظ الأب بدل الاسم الخاص يدل علي محبتهم اياه من جانب اخر وكأن هذا اللفظ يحمل النبي يوسف عبأ المشكلة؛ وان استعمال جملة من بعده صالحين تدل علي علمهم ببشاعة القتل وحرمة عند الله وطمعهم في التوبة بعد ذلك وانهم قد قدموا العزم على التوبة قبل صدور الذنب منهم تسهيلا لفعله، وإزالة لشناعته، وتنشيطا من بعضهم لبعض.

وان العدول عن الاسم إلي الفعل المضارع ايضا من ظواهر الانزياح

الصرفي: ﴿وَجَاءَ آبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ (يوسف، ١٦)

مما يلاحظ من الجانب البلاغي ان قرروا ان يرجعوا إلي ابيهم عشاء وهو وقت متأخر ليوحوا بذلك إلي حدوث أمر سيء تظاهرا منهم وان فعل ييكون وهو جملة حالية بضيغة المضارع اتي ليدل علي استمرارية بكاء الأخوة لكي يحوزوا بذلك علي عفو الأب وللتمويه علي جريمتهم في حق يوسف وبذلك يكون بكاؤهم دليلا لهم، وقرينة على صدقهم.

كذلك نشاهد العدول عن الصفة إلي اسم المصدر يأتي يهدف التاكيد: ﴿

وَجَاءَ وَعَلَى قَمِيصِهِ يَدَمٌ كَذِبٌ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى

مَا تَصِفُونَ﴾ (يوسف، ١٨)

ومما يلاحظ ان الآية استعملت مفردة الكذب وهي اسم مصدر لتعلب دور الصفة بدل كاذب وفي استعمال اسم المصدر بدل اسم الصفة تأكيد ليدل بذلك علي فداحة الكذب وانكشافه

وكذلك يتجلى استعمال اسم المفرد بدل الجمع لغرض بلاغي في قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّهُ بِضْعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ (يوسف، ٢٠)

وهذه الآية كسابقاتها تكشف عن شدة بغض الأخوة ليوسف (عليه السلام) فهم عندما باعوا قد أكدت الآية الشريفة علي ان الثمن كان بخساً وعادت فشرحت بانها دراهم معدودة واتبعت ذلك بانهم كانوا زاهدين فيه فهذه الجملات الثلاث تحكي رخص البيع وبغضهم اياه وان المعدودة قد اتت بصيغة مفردة صفة للدراهم لتدل بذلك إلي قلة الدراهم وكأنه درهم واحد.

وكذلك نشاهد العدول في استعمال اسم الموصول واستعمال صيغة التفعيل بدل الفعل لهدف بلاغي في قوله عن امرأة العزيزة عند مراودتها ليوسف

(عليه السلام) : ﴿ وَرَوَدَتْهُ الْمَرْءُ فَقِيصًا عَنْ نَفْسِهِ، وَعَلَّقَتْ الْأَتْرَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ

مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ (يوسف، ٢٣)

واول ما نلاحظ هنا ان اسم الموصول وقد أسهم في رسم الجو النفسي للحدث، بحيث يمكن السامع ان يتخيل ذلك الحدث ويعيش الجو النفسي ففي قوله وراودته التي هو في بيتها عن نفسه.... نري الآية كيف عدلت عن ذكر الاسم الصريح وجي بالاسم الموصول ليصور لنا الجو النفسي الذي توافرت فيه جوانب الإغراء مع قوة السلطان وتهيئة الظروف، الا ان هذه الظروف المهيأة لم تزد سيدنا يوسف الا عفة، فانظر كيف دلت هذه الآية علي نزاهة سيدنا يوسف (عليه السلام)، وفي ذكر الصلة هنا استهجانا لعدم التصريح بالاسم المنسوب إليه هذا الفعل (ابوموسي، دلالات التركيب، ص ١٩٤)

هنا تصور الآية نفسية امرأة العزيز حين مرادتها ليوسف قد صرحت الآية في البداية انها غلقت الأبواب وفي فعل غلق المشدد ما يوحي رغبة المرأة الشديدة علي ارتكاب الفاحشة وقد عبرت عن ذلك بكل وضوح في جملتها هيت لك وهذه الجملة مرة أخرى تكشف عن مدي الرغبة الجنسية التي هيمنت عليها لكن يوسف أجابها بجملة معاذ الله مباشرة ويلاحظ أن الآية استعملت اسم الجلالة الأعظم من بين كل الأسماء يذكر امرأة العزيز بعظمة ربه عليها تتقي وتابع قائلاً انه ربي احسن مثواي ليدكر بذلك نعمة العزيز ويذكر المرأة بفضل زوجها عليها تنصرف من فعلتها وفي الأخير ختمها الآية بقوله انه لا يفلح الظالمون والجملة الاسمية و ضمير الشأن في الآية يوحي بدلالة التاكيد مما يعزز قول يوسف بهدف صرف امرأة العزيز عن صنيعها وهكذا كما نري فان الآية صراع بين نفسية امرأة العزيزة الراغبة اشد الرغبة و نفسية يوسف الراضية كل الرفض وسعيها الخيث في صرف امرأة العزيز.

وكذلك نري الفعل المشدد يوحي بدلالة أوسع تؤكد ضرورة ايلاء المزيد من الاكرام: ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (يوسف، ٢١)

نري في هذه الآية غاية اكرام عزيز مصر ليوسف (عليه السلام) فقد طلب من زوجته ان تكرم مثواه ومقامه وهذه الجملة أكثر احتراماً من قول اكرميهِ، فاكرام المثوي تعني رفع الشأن وعلو المقام فضلاً عن اكرام الشخص وقد جسد ذلك الاكرام من خلال جملة (مكننا ليوسف في الأرض) استعملت الآية فعل مكن وهو فعل مشدد لتصور بذلك عظمة لمكانة التي حازها يوسف (عليه السلام) بفعل عناية ربه جل وتعالى.

ومن الانزياج الصرفي العدول في استعمال الضمائر واستعمال بعضها بدل بعضها كما في قوله: ﴿ قَالُوا سُرُّوْهُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴾ (يوسف، ٦١)

كما ان عبارة اباه بدل أبانا تدل علي الكم الهائل من المحبة التي يمتاز بها بنيامين في قلب يعقوب (عليه السلام) وان الكلمة تحمل طاقة كبيرة من الحسد علي بنيامين والثريب علي ابيهم. وبسبب هذه المحبة الكثيرة فانهم استعملوا فعل (نراود) ليدل على أن يعقوب (عليه السلام) كان مولعا به لا يصبر عنه، وكان يتسلى به بعد يوسف، فلذلك احتاج إلى مراودة في بعثه معهم.

كذلك يتجلي مرة ثانية في سرد يوسف (عليه السلام) لرؤياه اذ يقول: ﴿إِذْ قَالَ

يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾

(يوسف، ٤)

يلاحظ هنا تكرار فعل رايت في الآية مرتين يوحي بقطعية وقوع الرويا مسبقا وان ضمير الهم في فعل (رايتهم) يدل من جانب اخر علي ان المعني بالكواكب والشمس والقمر أخوة يوسف ولم يستعمل ضميرها الدال علي الجماد.

وكذلك نشاهد الضمير يلعب دورا فنيا في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا

ذَهَبْنَا فَتَيِّقٌ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْنَعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا

صَادِقِينَ﴾ (يوسف، ١٧)

ويلاحظ انهم في بداية عذرهم لابيهم قد بدأوا الحديث بنداء يا أبانا لكي يكسبوا عطفه ورأفته ومن ثم اردفوا النداء بجملة اسمية مؤكدة يبرهنون بها عن براءتهم لانهم كانوا في موضع شك. ثم في ختام الآية نشاهد جملة وما أنت بمومن لنا ليدل مرة أخرى علي كمية الشك الهائل الذي سيطر علي يعقوب في دور الأخوة بتأمرهم علي يوسف (عليه السلام).

وكذلك تتجلي ظاهرة استعمال بعض الضمائر بدل بعض في حديث

يوسف مصورا قسوة السجن: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَإِلَّا

تَصْرِفَ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْكَاهِلِينَ﴾ (يوسف، ٣٣)

ومما يلاحظ في هذه الآية ان بدا الآية بنداء ربه وهو بذلك يطلب عناية الله وعطفه في ظل الظروف الحرجة من خلال ذكره لمفردة الرب ثم نلاحظ انه استعمل فعل يدعونني بصيغة الجمع المذكور مع ان الذي فرضه عليه السجن امرأة العزيز ونسوتها وهو بذلك يشير إلي ملمح بلاغي مهم اذ ينوه إلي استحكام سلطة تلك النساء وقهرهن الذي يبلغ مبلغ الرجال ثم في الختام اشار إلي انه في حال عدم تلقي العناية الالهية فانه يصبو إلي تلك النساء ويكون بذلك من الجاهلين وقد استعمل مفردة الجهل في هذه الحالة لأنه بممارسة الفاحشة يؤثر لذة قليلة منغصة، على لذات متتابعات وشهوات متنوعة في جنات النعيم، ومن أثر هذا على هذا، فمن أجهل منه؟ فإن العلم والعقل يدعو إلى تقديم أعظم المصلحتين وأعظم اللذتين، ويؤثر ما كان محمود العاقبة.

ومن نماذج الانزياح الصرفي ايضا تأكيد الفعل بحرف النون في حكاية اسر يوسف (عليه السلام): ﴿ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَ جُذُئُهُمْ شَيْءٌ جَدٍ﴾ (يوسف، ٣٥)

نجد هنا ملاحظات عدة وهي ان اختار مفردة الآيات للدلالة علي البراهين التي اثبتت براءة يوسف (عليه السلام) وهو بذلك انما يشير إلي صلف وتمادي هولاء القوم في سجنه فقد اتضحت براءته كل الوضوح كالمعجزات لكنهم خالفوها ثم واصل وصف حال تعنتهم بقوله ليسجنه مؤكدا بذلك فعل الضمارع بحرف النون المشددة ليؤكد مرة أخرى قسوتهم وابتعادهم عن الحق وان أمر سجنه اتي بعد ان اشتهر الخبر وبان، وصار الناس فيها بين عاذر ولائم وقادح لذا بان لذوي الأمر ان يسجنوه لينقطع بذلك الخبر ويتناساه الناس، فإن الشيء إذا شاع لم يزل يذكر ويشاع مع وجود أسبابه، فإذا عدمت أسبابه نسي، فرأوا أن هذا مصلحة لهم، فأدخلوه في السجن.

وكذلك الحال في قوله تعالي عن تمنع يعقوب عن ارسال يوسف واصرار الشديدي علي اخذ العهد من أخوته: ﴿قَالَ لَنُؤْتِيَكَ بِكَ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَنَأْتِيَنَّكَ بِهِ بَلَدًا آخَرًا ثُمَّ لَنَحْطُ بِكَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ (يوسف، ٦٦)

هنا نلاحظ أن الآية استعملت مفردة موثق للتعبير عن القسم وفي كلمة موثق دلالة اضافية أوسع من القسم فان الموثق نظرا للدلالة التوثيق والتقيد الكامنة فيه يحمل شحنة دلالية اكبر من القسم مما يدل علي قلق يعقوب علي مصير أبنه بنيامين وقلة ثقته في أبنائه وقد كشف عن ذلك القلق وعدم الثقة تأكيد فعل (تاتون) بالنون المؤكدة اذ يؤكد القلق وعدم الثقة مرة أخرى ويلاحظ إيمان يعقوب الشديد بالقضاء الالهي وذلك يتجلي في الأخيرة بوضوح بكل كلماتها وبشكل بارز في ما غني عنكم من الله من شي فعبارة من شي وهي مفعول مجرور بحرف جرأتي بهذه الصيغة للدلالة علي حدوث القدر بكامل تفاصيله وعدم استطاعة البشر في تغييره أدني تغيير.

كذلك من نماذج الانزياح استعمال الكلمات ذات المبني الزائد لغرض بلاغي :

﴿ حَقًّا إِذَا سَأَلْتَهُنَّ الرُّسُلَ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرٌ نَأْتِيهِ مِنْ لَدُنْهُمْ وَلَا يَرْدُّ بَاسُنَاعِهِنَّ الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ١١١ ﴾ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿ (يوسف، ١١١)

هنا توجد ملاحظات عدة ذات دلالة نفسية ففري في بداية الآيات فعل استئس وهو المرادف لفعل يأس الا انه حسب القاعدة الصرفية المشهورة المتمثلة في ان زيادة المبني تدل علي زيادة المعني فان الاستئاس يحمل شحنة قنوط اكبر من الياس وهذا ما يبين عظمة صبر الانبياء والرسل (عليه السلام) وامهال الله تعالي فان الانبياء ما كانوا يشكون إلا بعد ان يبلغ الأمر اقصي وان الله جل جلاله ما كان يعاقب حتي يمهل اقصي ما يتصور ومن ثم يبطش اخذ عزيز مقتدر.

كذلك من نماذج هذه الظاهرة استعمال الفعل المشدد في حديث يعقوب عن ضرورة البحث عن يوسف (عليه السلام) وإيمانه الواثق برحمة الله وعدم موت يوسف (عليه السلام) : ﴿ يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْسُ مِنَ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (يوسف، ٨٧)

هنا نشاهد ازياح صرفي يتجلى في استعمال التحسس المشددة بدل البحث للدلالة علي إصراره يعقوب وعدم سأمه في البحث عن يوسف (عليه السلام) وإيمانه التام وامله في العثور عليه. وان تكرار عبارة روح الله في الآيات يدل علي امل يعقوب الكبير في العثور علي يوسف (عليه السلام) مرة اخري.

كذلك نري استعمال ان الخفيفة في حديث أخوة يوسف (عليه السلام) لغرض بلاغي: ﴿ قَالَ لَا تَأْتِيَنَّكُمْ الْيَوْمَ يَعْفُرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (يوسف، ٩٢)

نلاحظ هنا استعمال ان المخففة للتعبير عن المعني النفسي في قول أخوة يوسف لأخيهم: (قالوا تالله لقد اترك علينا وان كنا لخاطئين) انظر كيف جي بلفظ ان المخففة في حين نجدهم عند اعترافهم امام ابيهم اكدوا ب«ان» المشددة (قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين) مع ان المتبادر إلي الذهن ان يكون العكس، اي التأكيد بان المشددة لأخيهم لان الاساءة إليه مباشرة، الا ان هذا يشير إلي معان نفسية ادق، فأخوة يوسف لما راوا حال ابيهم وما حل به من جراء فعلتهم من الوهن واللوعة وحرقة الفواد، وذهاب البصر من اثر الحزن، كان ذلك ادعي لهم إلي توكيد الاعتذار والاعتراف بالخطيئة، اما بالنسبة لأخيهم فان الله أكرمه بعد ان بوأه مكانة عالية ومكن له في الأرض، كأن مكرهم به وكيدهم له عاد عليه بالخير والرفعة بعكس ما جرت علي ابيهم، ولعل هذا السر في ان يوسف بادر بسؤال مغفرة لاخوانه، بينما ابوهم كان وعد بالمستقبل سوف مما يشير إلي عمق الاثر في نفسه (عليه السلام).

ونري الانزياح ايضا في استعمال أسماء الإشارة اذ يستعمل البعيد في موضع القريب لغرض بلاغي: ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾ (يوسف، ١٠٢)

لما قص الله هذه القصة على محمد (صلى الله عليه وسلم) - قال الله له: ذَلِكَ الْحَدِيثَ الَّذِي أَخْبَرْنَاكَ بِهِ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ الَّذِي لَوْلَا إِيجَاؤُنَا إِلَيْكَ لَمَا وَصَلْ إِلَيْكَ هَذَا الْخَبَرِ الْجَلِيلَ، فَإِنَّكَ لَمْ تَكُنْ حَاضِرًا لَدَيْهِمْ (إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ) أَي: أَخُوهُ يَوْسُفَ

{وَهُمْ يَمْكُرُونَ} به حين تعاقدوا على التفريق بينه وبين أبيه، في حالة لا يطلع عليها إلا الله تعالى، ولا يمكن أحدا أن يصل إلى علمها، إلا بتعليم الله له إياها. ويلاحظ هنا ان اسم الإشارة في بداية الآية المتمثل في ذلك يحمل فضلا عن معني الإشارة، دلالة التعظيم والمجيد لقصة يوسف (عليه السلام) فقد صورها بإشارة البعيد ليوحي بعظمتها وسمو شأنها. وان مفهوم الآية وان كان ظاهره الاخبار الا ان الدلالة المقصودة فيه هي بيان فضل الله علي محمد (ﷺ) في انباءه بهذه القصص .

النتيجة :

اتضح لنا ان هناك كما هائلا من الانزياح الفني بمستوياته المتعددة لاسيما الصرفية وقد لعبت دورا فنيا وحملت دلالة ثانوية ومن أبرزها: تنكير الاسماء، استعمال فعل الأمر بدل المضارع أو استعمال المصدر بدل الفعل والعدول في استعمال الضمائر من خلال استعمال بعضها بدل بعض وكذلك تشديد الأفعال وما فيه ذلك من زيادة المبني لزيادة المعني واستعمال أسماء الإشارة وقد كشفت هذه الظواهر جميعا عن بعض سمات شخصيات السورة فنري شخصية يعقوب وقد غلب عليه الحزن والقلق وبقي يتارجح بين القلق والخوف والأمل والإيمان بقدر الله وشخصية أخوة يوسف وبغضهم الشديد ليوسف (عليه السلام) وسعيهم الحثيث لكسب ود ابيهم وشخصية يوسف (عليه السلام) ومكانته السامية لدي ابيه ونصرة الله تعالى له.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير ما ابتدئ به القرآن الكريم

- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، ١٩٧٩.
- الألوسي، محمود أبو الشاء. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- البلاغي، الهدي إلي دين المصطفى، ط ٣، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٨٥م، ج ٢.
- بودوخة، مسعود، الأسلوبية وخصائص اللغة الشعرية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠١١.
- بكري شيخ، أمين، التعبير الفني في القرآن الكريم، بيروت دار الملايين، ١٩٧٣.

- الجرجاني، ابوبكر عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق محمد التنجي، ط١، بيروت، دار الكتب العربي، ١٩٩٥م، ج١.
- الجيوسي، عبدالله محمد، التعبير القراني الدلالة النفسية، دمشق، دار الغوثاني، ٢٠٠٦.
- الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، بيروت، دارالكتب العلمية، ٢٠١٠.
- الخولي، أمين، مناهج تجديد في النحو والبلاغة، بيروت، دار المعرفة، ١٩٦١.
- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م، ج٣.
- السد، نور الدين، الأسلوبية وتحليل الخطاب، الأردن: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، (٢٠٠٧م).
- سليمان، فتح الله، الأسلوبية مدخل نظري، الدار الفية للنشر، ٢٠٠٠.
- سامح ربابعة، موسى، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها. كويت: جامعة الكويت، ٢٠٠٣.
- شكري، إسماعيل، نقد مفهوم الانزياح، مجلة فكر ونقد، العدد ٢٣، ١٩٩٩.
- صبيح خلف، عبد علي، النداء دراسة أسملوية، مجلة أبحاث ميسان، المجلد التاسع، العدد السابع عشر، ٢٠١٢.
- فضل، صلاح، علم الأسلوب ومبادئه وإجراءاته، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٨.
- عبدالمطلب، محمد، البلاغة والأسلوبية، الهيئة المصرية العامة، ١٩٨٤.
- كوهن، جان، بنية اللغة الشعرية، ترجمه محمد مولي، دار توبقال للنشر، المغرب، ١٩٨٦.
- النوري، احمد غالب، أسملوية الانزياح في النص القراني، رسالة لنيل درجة الدكتوراه جامعة مودة، ٢٠٠٨.
- مختار عمر، أحمد، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط١، ١٩٩٨.
- المسدي، عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، تونس، ط٣. ٢٠٠٢.
- المخزومي، مهدي، في النحو العربي، نقد وتوجيه، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٥.
- ويس، محمد، الانزياح من خلال الدراسات الأسملوية، المؤسسة الجامعية للدراسات، ٢٠٠٥.